قصة المرأة المهاجرة (هاجر) بين منعرجات السرد التوراتي وإعادة التشكيل في المدونة الاسلامية

The Story of the Migrant Woman Hāğir between the Biblical Narrative and Reformulation in the Islamic texts

د. جعفر شنان حسن: كلية العلوم الإسلامية، جامعة ذي قار، العراق

Dr. Jafar Shanan Hassan: Faculty of Islamic Sciences, University of Dhi Qar, Republic of Iraq

Email: jafar.hassan.islqu@utq.edu.iq

الملخص:

يدرس هذا البحث ما سردته النصوص الدينية من قصة هذه السيدة الجليلة زوج النبي إبراهيم الثانية التي انجبت أصل العرب الذين يرجع نسبهم اليه. ولم يسلط الضوء كثيرا في البحوث –بحسب ما اطلع عليه الباحث– على هذه القصة وبطلتها (هاجر)؛ لذا جاء هذا البحث ليتناول هذه القصة كما روتها لنا نصوص من العهد القديم والمدونات الإسلامية. وسلك البحث المنهج الوصفي التحليلي، مع تعزيزه بإجراء مقارنات بين ما جاء في السرد التوراتي والنصوص الإسلامية. وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج أبرزها: ١. إن السرد التوراتي تهيمن عليه النزعة التطرفية والهيمنة الايديولوجية في التعامل مع شخصية السيدة هاجر. ٢. إن الخطاب الإسلامي حاول أن يعيد إنتاج القصة بما ينسجم مع منطلقات الاسلام الجوهرية، في عدم الانتقاص من نساء الانبياء المؤمنات. ٣. بعض النصوص الإسلامية كانت متأثرة إلى حد كبير بالمرويات الإسرائيلية.

الكلمات المفتاحية: سرد، قصة، توراتي، إعادة تشكيل، مدونة إسلامية، هاجر.

Abstract:

This study, entitled: The Story of the migrant woman Hāğir between the biblical narrative and reformulation in the Islamic texts. It is a research in religious narratives, which aims to clarify the differences between the formations of religious narratives around one story, and the impact of the active factors in changing the narrative structure, both textually and objectively. The study began with a preface to the significance of the name Hāğir in several languages, including Arabic, and the origin that lady and her lineage, then study the biblical text that tells us her story while standing on the most prominent techniques of narration in it, after that our study include Islamic texts that narrated the story in more than one source with comparisons made between what was mentioned in the Torah and these Islamic texts, and an explanation of the problems and differences that are not mentioned here and there, with a reading of the symbolism of this story and its implications in the other dimension of the religious language. The study follow a method that is compatible with the applied procedure and the

goal that it aims to achieve, the descriptive-analytical method was, with it reinforced by making comparisons between what was mentioned in the biblical narrative and Islamic texts.

Keywords: narration, story, biblical reconfiguration, Islamic blog, Hagar.

المقدمة:

إن هذا البحث الموسوم (قصة المرأة المهاجرة (هاجر) بين منعرجات السرد التوراتي وإعادة التشكيل في المدونة الاسلامية) من البحوث التي تحاول تسليط الضوء على نموذج من القصص الديني، والوقوف على العوامل الفاعلة والمؤثرة في بناء ذلك القصص ومتغيراته في مسار الخط الزمني، والموجهات الأخرى المساهمة في بناء السرد، والهدم وإعادة الإنتاج.

يدرس هذا البحث ما سردته لنا النصوص الدينية من قصة هذه السيدة الجليلة زوج النبي إبراهيم التي أنجبت أصل العرب الذين يرجع نسبهم اليه. جاء هذا البحث ليتناول هذه القصة كما روتها لنا نصوص من العهد القديم والمدونات الإسلامية.

إشكالية البحث:

تدور إشكالية البحث حول العوامل المؤثرة والفاعلة في متغيرات السرد الديني، ليتم تشخيص تلك العوامل ومعرفة مدى تأثيرها على إعادة تشكيل السرد، سلبا أو إيجابا.

منهج البحث:

سلك البحث منهجا يتلاءم مع الإجراء التطبيقي والهدف الذي يروم تحقيقه، فكان المنهج الوصفي التحليلي، مع تعزيزه بإجراء مقارنات بين ما جاء في السرد التوراتي والنصوص الإسلامية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على أهم ما يجب معرفته من عوامل مؤثرة في البناء السردي، مع تعزيز الرؤية بنماذج تطبيقية ليتأكد ذلك لدى القراء والدارسين، والوقوف على ما تم التلاعب به من قصة السيدة هاجر، بدوافع عنصرية، وكيف أن المنطلقات الإسلامية جعلت القصة نفسها يعاد تشكيلها بما يتناسب مع الروح الإسلامية. وهنا تكمن أهمية الدراسة، إذا تقصت القصة في السرد التوراتي، ثم أجرت المقارنات والموازنات لبيان الثابت والمتغير، والمحذوف أو المسكوت عنه من تلك القصة.

هيكلية البحث:

بدأ البحث بمقدمة، ثم تمهيد عن دلالة اسم (هاجر) في لغات عدة منها العربية، واصل تلك السيدة ونسبها، ثم المبحث الأول: القصة التوراتية فجوة الانتقاص ومركزية الصراع، ثم المبحث الثاني: قصة السيدة هاجر في النصوص الإسلامية اذ اورد البحث النصوص الإسلامية التي سردت القصة في اكثر من مصدر مع اجراء مقارنات بين ما جاء في التوراة وهذه النصوص الإسلامية، وكان موضوع المبحث الثالث: بناء الأحداث الانعطافية المهمة وحركة الشخصيات، وجاء عنوان المبحث الرابع: المسكوت عنه في القصة التوراتية، ليسلط الضوء على ما غاب أو غُيب من القصة في السرد التوراتي. انتهى البحث بخاتمة، وفهرست لمصادر البحث.

التمهيد: إضاءات حول الاسم والنسب:

1- اسم (هاجر) مقاربات دلالية:

عندما يبحث الدارس عن الأصل اللغوي لاسم السيدة هاجر يقف على اراء واحتمالات عدة، منها:

إن اسم السيدة هاجر هيروغليفي في الأصل، وينقسم لفظ هاجر في تلك اللغة إلى قسمين: ها: معناها زهرة اللوتس، و(جر) معناها أرض جب.. وجب بالمعنى التوراتي تعني (مصر)، أي ان اسمها زهرة اللوتس وكنايتها المصرية. وبحسب الترجمة المعنوية فان اسمها يعني (زهرة اللوتس المصرية). وهناك من يرى أنها في الأصل نوبية، لأن اسم هاجر يقابله النطق نفسه في النوبية كلمة "هاقجر" التي تعني فيما تعنيه المتروك؛ ويعتقد النوبيون في شمال السودان وجنوب مصر هذا الاعتقاد، ويدعم هذا الادعاء حسب اعتقادهم مقابلتهم اسمها (هاجر) بما يقاربه في اللفظ والدلالة، ففي النوبية كلمة هاقجر التي تعنى الجالس أو المتروك فيه إشارة ربما لعملية تركها وحيدة في مكة.. والمعنى المباشر للكلمة هو سوف أجلس.. وهو المعنى نفسه المستعمل عند المصريين للدلالة على الإقامة والسكن[1]. يلحظ ان المعنى النوبي للاسم ينسجم مع حال السيدة هاجر بعد تركها من اجل الإقامة والسكن في مكة، ومن الواضح ان هذا الحدث لاحق، فيكون ذلك الاسم قد اطلق عليها لبيان حال من احوالها، وهو اسم منتزع من حدث مرت به الشخصية المسماة.

[1] فواز، زينب، ١٣١٢هـ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية بولاق: ج١، ص٥٢٩. و زوارة، غلام رضا، ٢٠٠٤م، هاجر أسوة الاستقامة، ط١، ترجمة: زهراء الموسوي، كربلاء المقدسة-العراق، مكتبة الرضا: ص١٣.

أ- هناك من يرى ان اسم هاجر (بالإنجليزية: Hagar) (بالعبرية: הָגָר) (باليونانية: Ἄγαρ) اسم سامي معناه "هجرة".[1] ولا يخفى مدى التقارب الدلالي لاسم السيدة هاجر بين اللغة السامية واللغة العربية كما سيأتي بيانه.

ب-في اللغة العربية يعد اسم (هاجر) من أسماء الاعلام، وهو اسم مؤنث، مشتق من مادة (هـ ج ر) وعند تتبع هذه المادة في المعاجم العربية نقف على دلالات عدة، منها: ان بنية الاسم مأخوذة من جذر الفعل (هجر)، وهو بالفتح هَجَرَ هَجْرًا: يعني تباعَدَ . وله معنى اخر: هَجَرَ في الشيء، وبه: أُولع بِذِكره . ومعنى ثالث: هَجَرَ الشيءَ أَو الشخصَ هَجْرًا، وهِجْرانًا: تركه وأَعرضَ عنه، ويقال: هَجَرَ زوجَه: اعتزلَ عنها ولم يطلِّقْها . ورابع: الهَجْرُ بالفتح و الهَاجِرَةُ و الهَجِيرُ نصف النهار عند اشتداد الحر[2].

هذه المعاني التي تم اختيارها من بين دلالات المادة (هـ، ج، ر) تنسجم جميعها مع حدث بارز في قصة السيدة هاجر، فالتباعد عن الديار والزوج هو ما حصل لها في بداية رحلتها الى مكة التي استمرت بعد ذلك، وكذلك الولع بالذكر ملازم لما حدث لها، فلا شك ان المرأة التي اختارها الله لتكون زوجة لنبي واماً لنبي وعن طريقها يجري نسل النبي الأعظم الخاتم (صلى الله عليه واله وسلم) هي امرأة مولعة بذكر الله تعالى وبذكر خليله زوجها (عليه السلام) الذي تحملت لأجله المشقة والصعوبات الجمة، يؤيد ذلك ما ورد من انها كانت على درجة عالية من الايمان واليقين تجلت في محاورتها مع زوجها إبراهيم (عليه السلام) عندما ودعهم في ارض مكة ولم يكن هناك طعام ولا ماء، فعندما قفى منطلقا تبعته ام إسماعيل قائلة: اين تذهب وتتركنا في واد ليس فيه انيس ولا شيء، أ الله امرك بذلك ؟ قال: نعم . قالت: اذاً لا يضيعنا ثم رجعت[3].

ولا يبعد المعنى الثالث عن قصة ما حصل مع السيدة هاجر، فقد تركها زوجها واعرض عنها لمدة طويلة من الزمن لتحقيق غاية تنسجم مع اهداف الأنبياء في نشر التوحيد وإظهار قدرة الله على رعاية الضعيفين (هاجر وطفلها إسماعيل) حتى جعل منهما امة عظيمة.

---

[1] بياوي، وليد وهبة، واخرون، (د.ت) دائرة المعارف الكتابية، القاهرة-مصر، دار الثقافة، ج٨، ص١٢٨. و نخبة من الأساتذة اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس – متاح على شبكة المعلومات العالمية. وينظر أيضا:
Douglas, J. D. (editor). Zondervan illustrated Bible dictionary ([Rev. ed.] ed.). Grand Rapids, Mich.: Zondervan. p. 560

[2] الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، ١٩٨٧م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤، بيروت – ، دار العلم للملايين، ج٢/٨٥١. و ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٤١٤هج، لسان العرب، ط٣، بيروت- ، دار صادر: ج٥/٢٥٣.

[3] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ١٩٨٨م، قصص الانبياء، السعودية – مكة المكرمة، ص185.

والمعنى الرابع كذلك مساوق للحدث الهاجري، فهي قد قطعت الطريق الصحراوي وتحملت شدة الحر .

وبذلك يلحظ التقارب الدلالي مع اصل الحدث الذي تتمركز عنده قصة السيدة هاجر، اذ يظهر لنا وحدة الأصل الاشتقاقي في اللغة العربية مع وحدة الحدث وتعدد الدلالة، ومقارباتها في تلازمات الحدث الجزئية، كما يلحظ التقارب اللفظي والدلالي بين اسمها في العربية واللغات الشرقية الاخرى كما سلف ذكرها.

ولكن يبقى الحدث البارز الذي يجمع التوافق او التقارب الدلالي هو الهجرة، ومن الواضح انه اسم وصفي وهذا ما يزيحه عن دائرة الاسم الوضعي الأول الذي وسمت به عند ولادتها، خلا الاسم المصري القديم (زهرة اللوتس) الذي يرجح انه كان اسمها الأول، ثم ان الاسم الوصفي للحدث جاء مقاربا للاسم الوضعي، ويرى الباحث ان هذه المقاربات يسبعد ان تكون اعتباطية، الانسجام اللفظي لـ(هاجر) في اكثر من لغة منها العربية، مع مغزى قصة السيدة هاجر في هجرتها الى اكثر من مكان، فمن مصر الى الشام ثم الى الحجاز كان انسجاما اقرب الى الوعي منه الى الاعتباطية، مهما يكن من امر فان الهجرة جاءت في مرحلة من مراحل عمرها، لذا يكون هذا الاسم يحكي صفة او حال من احوالها، ثم ان الغلبة وكثرة الاستعمال ادخلته في صيرورة العلمية فصار اسما علماً دالاً عليها.

2- **نسبها:** اختلفت المصادر في بيان نسب السيدة هاجر، فالتوراة اكتفت بذكرها بوصفها جارية للسيدة (سارة) على الرغم من اهتمام التوراة ببيان شجرة الانساب للشخصيات التي تعرضها.

ولكن بعض الروايات ذكرت انها ابنة فرعون ملك مصر، وانها كانت اميرة، وكان سبب رحلتها من مصر مع إبراهيم هو شدة تعلقها بسارة، ورغبتها في ديانة التوحيد وهجران الطقوس الوثنية في مصر[1].

وذكرت بعض المصادر انها قبطية كانت في الأردن اداها الملك الحاكم هناك (صادوق او صادوف) للنبي إبراهيم او لزوجته سارة[2].

وقيل انها سبية من جرهم كانت عند فرعون مصر، وهبها فيما بعد لسارة[3].

[1] هربرت لوكير، كل نساء الكتاب المقدس، القاهرة–مصر، دار الثقافة: 206.

[2] الحسيني، خالد موسى، وخلف، زيدان، ٢٠١٢م، السيدة هاجر زوجة النبي إبراهيم عند اليهود والنصارى والمسلمين، مجلة لارك، ع9، السنة الرابعة: ص30.

[3] دائرة المعارف الكتابية، مصدر سابق، ثم ج8، ص128.

وهناك من يرى انها اميرة مصرية قتل زوجها عند غزو الهكسوس لديارهم، واخذت سبية الى قصور الحكام الجدد، ثم وهبت لساره بعد ان تعرفت منها على ديانة التوحيد ورغبت في مرافقتها[1].

وأيا كانت الآراء أو الاختلافات عن أصل السيدة هاجر إلا أن اختيار الله سبحانه وتعالى لمعيشة تلك الفتاة المؤمنة في بيت النبوة الإبراهيمية كان لتهيئتها لدور أكبر وتشريفها بمكانة عظمى وتأييدها بمعجزات عظيمة تظل تذكر إلى يوم الدين كما سيتبين لنا من سرد لقصة حياة هذه السيدة الجليلة.

المبحث الأول: القصة التوراتية فجوة الانتقاص ومركزية الصراع:

من يقرأ قصة السيدة هاجر في التوراة يلحظ بوضوح كيفية العرض الانتقاصي للشخصيات الفاعلة للحدث، وكيف ان الحدث الرئيس في القصة – رحلة هاجر مع ابنها– مبني على نزعات نفسية وصراع داخل الاسرة الواحدة يتورط فيه النبي إبراهيم فيصبح أداة فاعلة في تنفيذ الصراع السلبي، بل حتى ملاك الرب كما في حكاية التوراة. هذا ما يتكشف عند قراءة النص الاتي:

(وَأَمَّا سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ. وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجَرُ، 2 فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: «هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَمْسَكَنِي عَنِ الْوِلاَدَةِ. ادْخُلْ عَلَى جَارِيَتِي لَعَلِّي أُرْزَقُ مِنْهَا بَنِينَ». فَسَمِعَ أَبْرَامُ لِقَوْلِ سَارَايَ.3 فَأَخَذَتْ سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةَ جَارِيَتَهَا، مِنْ بَعْدِ عَشْرِ سِنِينَ لإِقَامَةِ أَبْرَامَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَعْطَتْهَا لأَبْرَامَ رَجُلِهَا زَوْجَةً لَهُ.4 فَدَخَلَ عَلَى هَاجَرَ فَحَبِلَتْ. وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلَتْ صَغُرَتْ مَوْلاَتُهَا فِي عَيْنَيْهَا.5 فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: «ظُلْمِي عَلَيْكَ! أَنَا دَفَعْتُ جَارِيَتِي إِلَى حِضْنِكَ، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلَتْ صَغُرْتُ فِي عَيْنَيْهَا. يَقْضِي الرَّبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ».6 فَقَالَ أَبْرَامُ لِسَارَايَ: «هُوَذَا جَارِيَتُكِ فِي يَدِكِ. افْعَلِي بِهَا مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكِ». فَأَذَلَّتْهَا سَارَايُ، فَهَرَبَتْ مِنْ وَجْهِهَا.7 فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ فِي الْبَرِّيَّةِ، عَلَى الْعَيْنِ الَّتِي فِي طَرِيقِ شُورَ.8 وَقَالَ: «يَا هَاجَرُ جَارِيَةَ سَارَايَ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟». فَقَالَتْ: «أَنَا هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ مَوْلاَتِي سَارَايَ».9 فَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «ارْجِعِي إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا»)[2].

يذكر النص التوراتي ان هاجر لم ترحل من بيت النبي إبراهيم مرة واحدة، فهناك رحلتان لها بعد ولادتها إسماعيل (عليه السلام). النص السابق يبين الرحلة الأولى، وهي رحلة قصيرة ارتجاعية، سببها قيام السيدة سارة (ساراي) بتعذيب السيدة (هاجر) بعد اخذ الاذن من النبي إبراهيم !!

[1] الحسيني، خالد موسى، مصدر سابق: ص31.

[2] سفر التكوين: 16: 1– 9.

حاولت الحكاية التوراتية ان ترسم معالم الشخصيات في النص السابق وقد انقسمت الى ثلاثة أنواع:

- الشخصية الأولى: وهي الصانعة والمحركة لأكثر الاحداث في القصة، وهي شخصية ساراي، التي حرصت الرواية على اظهارها السيدة المتنفذة.
- الشخصية الثانية: شخصية إبراهيم (ابرام): شخصية محايدة مستسلمة لإرادة الشخصية الأولى، وهذا الاستسلام اوقعها في السكوت عن الظلم الذي وقع على السيدة هاجر.
- الشخصية الثالثة: شخصية هاجر، اظهرها النص على انها امة مصرية مسلوبة الإرادة انهزامية ضعيفة على الرغم من محاولتها ابراز شخصيتها كامرأة محترمة.
- الشخصية الرابعة: شخصية ملاك الرب، وقد جعلته الحكاية شخصية مناصرة للشخصية الأولى – ساراي– فهو يخاطب الشخصية الثالثة – هاجر– بصفة الجارية (يا جارية ساراي) ويأمرها بالرجوع والخضوع للشخصية الأولى: (ارْجِعِي إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا).

اما أحداث القصة فقد جاءت موزعة بين الشخصيتين الأولى والثالثة (ساراي، هاجر).

- الحدث 1: تزويج الشخصية الثالثة (هاجر) للثانية (ابرام) الفاعل المؤثر في الحدث هو الشخصية الأولى التي امرت ابرام بالزواج من هاجر لتحقيق الرغبة في الولد.
- الحدث 2: استجابة ابرام لساراي ودخوله على هاجر التي حبلت منه، وكان ذلك سبب في صغر الشخصية الأولى في عينها.
- الحدث 3: انعكاس تبعات الحدث الثاني على الشخصية الأولى سلبيا، وشكايتها لابرام الذي اذن لها في ان تقوم بالحدث غير المألوف وهو اذلال الشخصية الثالثة والنيل منها، وبذلك مهدت لظهور الحدث 4.
- الحدث 4: هروب الشخصية الثالثة (هاجر) على وجهها للتخلص من اذلال ساراي.
- الحدث 5: ظهور الشخصية الرابعة (ملاك الرب) ليلتقي بالشخصية الثالثة الهاربة عند عين ماء، ويساهم في صناعة الحدث6.
- الحدث 6: رجوع الشخصية المرتحلة الهاربة الى المكان السابق (بيت إبرام).
- **ملاك الرب والبشرى بالحدث الأهم في حياة هاجر:**

جاء في النص التوراتي ان الملاك عندما ظهر لهاجر بشرها بإسماعيل، وبكثرة النسل، وان الرب سمع مذلتها وإسماعيل هو عطاء تعويضي عن تلك المذلة التي تعرضت لها على يد ساراي: **(وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ».11 وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ.12 وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ»)**[1].

وفي هذا النص تظهر البشرى بظهور الشخصية الجديدة التي هي بلسم لما عانته هاجر من اذى.

- **حوار الشخصيات:**

في النص السابق الحوار متحقق بين بعض الشخصيات دون سواها، فالشخصية الأولى تحاور الشخصية الثانية (ساراي= ابرام)، ولم يكن للشخصية الثالثة (هاجر) التي كان مدار الاحداث حولها أي حوار مع الشخصيتين السابقتين، فهي قد سلب منها هذا العنصر، وهذا ينسجم مع الشخصية الاستسلامية الانهزامية التي حاول النص التوراتي ان يرسمها لها.

اول من يفتح عنصر الحوار في قصة هاجر هي الشخصية 1 ساراي: فهي وجهت الكلام لإبرام ليتزوج هاجر، وكان جواب ابرام الاستجابة لها التي كشف عنها النص دوم ان ينطق ابرام، لأن فعله كاشف عنها. ثم تتكلم ساراي مرة أخرى شكاية من هاجر، وهذا الحوار موجه بصورة خاصة لغرض تحريك أحداث القصة، وهو يعطي تلميحا او اشارة خفية حول ما سوف تؤول اليه الاحدث في سلسلتها المتعاقبة؛ لأن عدم رضا الشخصية عن الشخصية 3 –هاجر– وما ظهر من حوارها مع ابرام ينبئ بتصور أولي عن غيرتها التي سوف تحركها سلبا تجاه هاجر التي لا سبيل امامها سوى الابتعاد والرحيل، ومن الحوار ينكشف لنا مسار تطور الاحداث التي تنتهي بتغير المكان.

اما الشخصية الثالثة فلم يظهر لنا النص موقفها الحواري من الاحداث المؤثرة في حياتها، فهي يتم تزويجها، ويمارس بحقها الاذل، ولم يبرز منها قول يبين موقفها مما يجري، ولكن عنصر الحوار عندها يحفزه ملاك الرب عندما يبدأ مساءلتها فتجيب.

والحوار مهم كونه يسهم في الكشف عن الحالات النفسية للشخصيات وبوساطته يستطيع الدارس أنْ يصنف نفسيات الشخصيات ودورها في تنمية الحدث، كما ان الحوار لا يكشف عن بناء

[1] سفر التكوين: 16: 10–12.

الشخصية فحسب بل اننا بمعرفة الحوار ندرك لماذا أقدمت هذه الشخصية او تلك على هذا الفعل دون سواه.[1]

- **الرحلة الثانية للسيدة هاجر:**

يحكي لنا النص التوراتي عن رحلة ثانية لم ترجع بعدها هاجر الى بيت إبراهيم الذي فيه ساره (ساراي)، هذه الرحلة هي هجرة طويلة الأمد كان سببها أيضا الشخصية 1، وكما في النص الاتي:

(وَافْتَقَدَ الرَّبُّ سَارَةَ كَمَا قَالَ، وَفَعَلَ الرَّبُّ لِسَارَةَ كَمَا تَكَلَّمَ.2 فَحَبِلَتْ سَارَةُ وَوَلَدَتْ لإِبْرَاهِيمَ ابْنًا فِي شَيْخُوخَتِهِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَكَلَّمَ اللهُ عَنْهُ....

فَكَبِرَ الْوَلَدُ وَفُطِمَ. وَصَنَعَ إِبْرَاهِيمُ وَلِيمَةً عَظِيمَةً يَوْمَ فِطَامِ إِسْحَاقَ.9 وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ، 10 فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ».11 فَقَبُحَ الْكَلاَمُ جِدًّا فِي عَيْنَيْ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ.12 فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «لاَ يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ.13 وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ».14 فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ.15 وَلَمَّا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ الْوَلَدَ تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ، 16 وَمَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ بَعِيدًا نَحْوَ رَمْيَةِ قَوْسٍ، لأَنَّهَا قَالَتْ: «لاَ أَنْظُرُ مَوْتَ الْوَلَدِ». فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ.17 فَسَمِعَ اللهُ صَوْتَ الْغُلاَمِ، وَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا لَكِ يَا هَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ لِصَوْتِ الْغُلاَمِ حَيْثُ هُوَ.18 قُومِي احْمِلِي الْغُلاَمَ وَشُدِّي يَدَكِ بِهِ، لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً».19 وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلاَمَ.20 وَكَانَ اللهُ مَعَ الْغُلاَمِ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ.21 وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ)2.

هذا النص الذي يذكر جانب من قصة السيدة هاجر تكاد تكون شخصية سارة – كما في النص الأول – هي الشخصية الأولى الفاعلة والمؤثرة في إيجاد الأحداث وتحريكها ضد هاجر، والجديد في الشخصيات ظهور شخصيتي الطفلين الاخوين الذين تظهرهما الحكاية التوراتية على ان وجودهما اجج النزاع الاسري وتسبب في الهجرة الثانية والأخيرة لهاجر.

ان أحداث القصة متسلسلة يحرك سابقها لاحقها، وتمتد سلسلة الأحداث كما يأتي:

[1] عثمان، عبد الفتاح، ١٩٨٧م، بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية)، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الشباب: 237.
[2] سفر التكوين: 21: 1 و2، و 8–21.

- حدث 1: سارة تحبل وتلد ابنا اسمه إسحاق.
- حدث 2: فطام إسحاق وإقامة وليمة بهذه المناسبة، وقد اختزلت الحكاية عامين من الزمن فانتقلت من الولادة الى الفطام، وهذا ما يعرف بتقنية تسريع السرد.
- حدث 3: ابن هاجر المصرية يمزح، وهذا يثير غيرة الشخصية1 سارة.
- حدث 4: تتجه الشخصية 1 الى الشخصية 2 بعد ان لم تسيطر على غيرتها، وتطلب منه ان يطرد الجارية وابنها. إبراهيم لم يجبها باي كلمة ولكن الإجابة كانت بلغة الحواس اذ ظهر عدم الرضا في عينيه.
- حدث 5: يتدخل الله سبحانه لصالح سارة من اجل إرضاء رغبتها النفسية – بحسب النص التوراتي – في ابعاد هاجر وتهجيرها، واللهجة التي ينطق بها التوراة بلسان الله – تعالى – ذات نزعة عنصرية، فهو لا يسمي هاجر باسمها وانما يقول لابراهيم: (جاريتك)، ويأمره بطاعة سارة في ما تقول: (فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا)، ثم يبعث الاطمئنان في قلب إبراهيم بانه – الله التوراة – سوف يجعل لابراهيم نسل من كلا الولدين، ولكنه يسمي إسحاق باسمه ويطلق على إسماعيل تعبير انتقاصي: (لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ.وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ).
- حدث 6: إبراهيم يبكر صباحا فيأخذ خبزا وقربة ماء ويضعهما على كتف هاجر ويصرفها مع ولدها .
- حدث 7: هاجر تمضي في الطريق وتتيه في برية بئر السبع.
- حدث 8: ينفد الماء، وتطرح هاجر طفلها تحت شجرة وتبتعد عنه ؛ لكي لا تراه وهو يموت، وتجلس باكية.
- **تكرار الحدث في قصة هاجر التوراتية:**

يجد القارئ ان هناك بعض الاحداث تتكرر في مشاهدها على الرغم من ان حركة السرد مستمرة، اذ يعد (حدث 9): حدثا متكررا في حكاية الهروب الأول في النص السابق، ظهور ملاك الرب لمحاورة هاجر وطمأنتها. وكذلك الحدث 10: ظهور بئر ماء المزامن لظهور ملاك الرب. الفرق الملحوظ هو انه جاء في النص الأول (عين ماء)، وهنا في الثاني (بئر ماء).

ثم تعمد القصة التوراتية الى تسريع السرد فيكبر الغلام – لم تسمه باسمه– وتزوجه امه بفتاة من مصر.

ويلحظ ان القصة التوراتية تهمل موقف إبراهيم من هاجر وابنها، ولا توجد إشارة عن سؤاله عنهم او تتبعه لأخبارهم واثارهم بعد ان صرفهم بالبرية. بخلاف النصوص الإسلامية التي سنقف عليها التي تؤكد رحلة إبراهيم معهم، وتفقدهم اكثر من مرة.

ويبدو ان هناك سبب أيديولوجي منع من الإشارة الى رحلة ابراهيم مع هاجر او بعدها ليتفقدها، وهو قطع علاقة إسماعيل ونسله العرب بالنبي إبراهيم، وانهم أبناء الجارية المهجورة.

المبحث الثاني: قصة السيدة هاجر في النصوص الإسلامية:

لا يخفى ان النص التأسيسي في الإسلام هو القران الكريم، وقد أشار الى قصة هاجر إشارة غير صريحة، وهكذا إشارات لبعض القصص يجعلها قصصا إلماحية قابلة للتأطير، وهذه القابلية فسحت المجال لظهور القصص التأطيري (قصص الأنبياء والصالحين) .

النص القرآني الذي المح الى السيدة هاجر هو قوله تعالى: (**رَّبَّنَا إِنِّيَ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)(إبراهيم: 37).**

وتأتي القصص التأطيرية المبثوثة في التفاسير وكتب السير والاحاديث لتنطلق من هذه الآية وتجلب مرويات قصصية حول السيدة هاجر وابنها إسماعيل فتتجه حركة السرد الى تقنيات عدة تتشكل من خلالها قصة السيدة هاجر.

يذكر المفسرون ان إبراهيم (ع) قال ذلك الدعاء المذكور في الآية السابقة حين أسكن إسماعيل وأمه هاجَرَ مكة[1].

اذن هذه الإشارة القرآنية استدعت حضور القصص التأطيري الذي ينقسم الى قسمين:

- **الأول:** المأخوذ من الحكايات التوراتية، كما يصرع ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء – الذي تم اختياره من النماذج لعرض قصة السيدة هاجر في النصوص الإسلامية: " قال أهل الكتاب: إن إبراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة، وإن الله بشره بذلك. وإنه لما كان لإبراهيم ببلاد بيت المقدس عشرون سنة قالت سارة لإبراهيم عليه السلام: إن لرب قد أحرمني الولد، فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقني منها ولدا.

[1] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (المتوفى: 671هـ)، في تعليقه على الآية ٣٧ من سورة ابراهيم. وينظر ايضا: الطبري، محمد بن جرير، في كلامه عن الآية نفسها .وغيرهم.

فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم عليه السلام، فحين دخل بها حملت منه. قالوا: فلما حملت ارتفعت نفسها وتعاظمت على سيدتها، فغارت منها [سارة] فشكت ذلك إلى إبراهيم، فقال لها: افعلي بها ما شئت، فخافت هاجر فهربت فنزلت عند عين هناك. فقال لها ملك من الملائكة: لا تخافي فإن الله جاعل من هذا الغلام الذي حملت خيرا. وأمرها بالرجوع وبشرها أنها ستلد ابنا وتسميه إسماعيل، ويكون وحش الناس، يده على الكل، ويده الكل به، ويملك جميع بلاد إخوته. فشكرت الله عز وجل [على ذلك"[1].

- **الثاني**: مرويات مغايرة للتوراة في بعض جزئياتها ذات صبغة إسلامية: ومنها هذا النص: " ان هاجر عليها السلام لما ولد لها إسماعيل، اشتدت غيرة سارة منها، وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها، فذهب بها وبولدها، فسار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم.

ويقال إن ولدها كان إذ ذاك رضيعا.

فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما قامت إليه هاجر وتعلقت بثيابه، وقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا هاهنا وليس معنا ما يكفينا؟ فلم يجبها فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال نعم. قالت فإذا لا يضيعنا!"[2]

وقد حكت بعض الاخبار أن سارة غضبت على هاجر فحلفت لتقطعن ثلاثة أعضاء منها، فأمرها الخليل أن تثقب أذنيها، وأن تخفضها فتبر قسمها. قال السهيلي: فكانت أول من اختتن من النساء، وأول من ثقبت أذنها منهن، وأول من طولت ذيلها"[3].

وروى ابن كثير بعض ما اختصت به هاجر: " أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء. فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء. ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله امرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال[4]: (ربنا إني أسكنت

[1] ابن كثير، مصدر سابق: 182.

[2] المصدر نفسه: 184. وتفسير القمي: 1/ ص60 وما بعدها.

[3] قصص الأنبياء: 184.

[4] ابن كثير، مصدر سابق: 185. والقمي، تفسير القمي، مصدر سابق: 1/ ص60 وما بعدها.

من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) [إبراهيم: 37].

المبحث الثالث: بناء الأحداث الانعطافية المهمة وحركة الشخصيات:

ركز السرد الإسلامي على أحداث مهمة في قصة السيدة هاجر، ومن تلك الأحداث:

- **استحضار قصة السيدة هاجر في شعائر الحج:**

يبدأ سرد هذا الحدث مكملا لأحداث سابقة حول قصة المرأة المهاجرة المظلومة، لكن هذا الحدث ينماز بكونه يمثل بداية انعطافة خطيرة في حياة السيدة هاجر، إذ بعد أن أشرفت على الهلاك هبط إليها الملاك ليمنحها اصل الحياة (الماء) فخلد ذلك الحدث إلى يومنا هذا متمثلاً في بئر زمزم، لنرى هذا النص السردي كيف يحكي لنا ما جرى: " وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى – أو قال يتلبط – فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا. فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا، فعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " فلذلك سعى الناس بينهما "[1].

- **مخاطبة الملاك لهاجر:**

" فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه، تريد نفسها. ثم تسمعت فسمعت أيضا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث. فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه – أو قال بجناحه – حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا. وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يرحم الله أم إسماعيل! لو تركت زمزم، أو قال لو لم تغرف من الماء، لكانت زمزم عينا معينا " قال: فشربت وأرضعت ولدها. فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة فإن هاهنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله"[2].

- **الناس تهوي الى هاجر وابنها وهي تنهي مهمتها وتفارق الحياة:**

[1] ابن كثير، قصص الأنبياء: 185–186. و الجزائري، نعمة الله، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: 127.
[2] ابن كثير، مصدر سابق: 186.

وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم، مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أفسل مكة فرأوا طائرا عائفا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء. فأرسلوا جريا أو جريين فإذا هم بالماه، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا.

قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟

قالت: نعم. ولكن لا حق لكم في الماء عندنا . قالوا: نعم.

قال عبد الله بن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: فألفى ذلك أم إسماعيل وهى تحب الانس. فنزلوا ورسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم.

وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب. فلما أدرك زوجوه امرأة منهم. وماتت أم إسماعيل"[1].

ولا يختلف كثيرا مضمون هذه القصة في مصادر أخرى خلا بعض الإضافات التي تتعلق بكيفية رحلتها مع ابنها وزوجها الى مكة، فتحكي لنا مصادر إسلامية أخرى ان الرحلة تمت بواسطة البراق " فأنزل عليه جبرئيل (عليه السلام) بالبراق فحمل هاجر و إسماعيل (عليه السلام) و كان إبراهيم (عليه السلام) لا يمر بموضع حسن فيه شجر و نخل و زرع إلا و قال: يا جبرئيل إلى هاهنا؟ فقال: لا امض . حتى وافى مكة فوضعه موضع البيت، و قد كان عاهد سارة ألا ينزل حتى يرجع إليها فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر فألقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلوا تحته ..." [2].

واختلفت أيضا في بعض التفصيلات، منها: ان قبيلة جرهم استأذنوا قبل مكوثهم قرب ام إسماعيل اذ قالوا لهاجر " فتأذنين لنا أن نكون بالقرب منكم؟ ثم إنها استأذنت إبراهيم فأذن لهم فنزلوا بالقرب منهم، فأنست هاجر وإسماعيل بهم فلما رآهم إبراهيم عليه السلام في المرة الثالثة نظر إلى كثرة الناس حولهم فسر بذلك سرورا شديدا، فلما ترعرع إسماعيل عليه السلام و كانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كل واحد منهم شاة و شاتين و كانت هاجر و إسماعيل يعيشان بها، فلما بلغ مبلغ الرجال أمر الله عز و جل إبراهيم أن يبني البيت ... فبنى إبراهيم البيت و نقل إسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة أذرع ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم و وضعه في موضعه الذي هو فيه الآن و جعل له بابين بابا إلى المشرق و بابا إلى المغرب يسمى المستجار ثم ألقى عليه الشجر و الإذخر و علقت هاجر على بابه كساء فلما بناه و فرغ منه حج إبراهيم و إسماعيل

[1] المصدر نفسه: 186-187.

[2] الجزائري، مصدر سابق: 126-127.

و نزل عليهما جبرئيل عليه السلام يوم التروية فقال جبرئيل عليه السلام: قم فارتو من الماء؛ لأنه لم يكن بمنى و عرفات ماء، فسميت التروية لذلك ثم قال إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت ﴿رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال من ثمرات القلوب أي حببه إلى الناس ليعودوا إليه[1].

المبحث الرابع: المسكوت عنه في القصة التوراتية:

يلحظ بوضوح ان التوراة تجنب ذكر احداث وموضوعات مهمة في قصة السيدة هاجر ، منها:

1- عدم رحلة النبي إبراهيم الى الحجاز برفقة السيدة هاجر وابنها، وعدم تفقده لهما، وهذا السكوت عن هكذا حدث مهم يصب في توجه كتبة التوراة في محاولة التقليل من شأن السيدة هاجر وابنها وذريته، وتصويرها للقارئ انها مجرد جارية مهجورة تم طردها، وان كان ذلك السكوت والتغييب لدور إبراهيم في الحفاظ على هاجر وابنها وعدم حرصه عليهما فيه إساءة لإبراهيم، ومع ذلك لم يهتموا لذكر هذا الجانب المهم في القصة الذي يعد ركيزة مهمة استندت عليها القصة في الرواية الإسلامية.

واذا ما أراد الباحث جمع القرائن الواردة في النصوص التوراتية يثبت ان النبي ابراهيم قد توجه في بعض اسفاره نحو الجنوب برفقة هاجر، مما يستظهر منه انه توجه الى الحجاز[(2)]، ومن مؤيدات ذلك ان جملة من الاحداث التي يسردها العهد القديم حصلت بعد خروج النبي ابراهيم من مصر على طريق غزة، وانه عندما خرج من مصر – حسب رواية التوراة – يمم نحو الجنوب، ولا جنوب في هذه الحال الا جزيرة العرب، وكانت برفقته زوجته سارة وامتها هاجر المصرية، وانه سكن بعض

[1] الجزائري، مصدر سابق: 127-128.

2 يوجد اكثر من نص في العهد القديم يذكر ان النبي ابراهيم ذهب في بعض رحلاته الى الجنوب، منها ما جاء في سفر التكوين: 12: 5-9، وفي بعض ترجمات الكتاب المقدس ترجمت (هـ-نجب) ب (صحراء النقب) وفي ترجمة أخرى ترجمت (هـ-نجب) ب (الجنوب) .

ومنها ايضا: ما ورد في (سفر التكوين: 1: 13)، و: (التكوين: 20: 1)، وهذه الموارد من العهد القديم ترجمت كلمة (هـ- نجب) العبرية بـ (صحراء النقب)، وفي بعضها (الجنوب)، واستدل بعض الباحثين على ان الاصل في اللغة العبرية (هـ- نجب) الهاء هي اداة للتعريف في العبرية و (نجب) هي جنوب مع وجود ظاهرة القلب في اللغة، وهو ما اخذت به بعض الترجمات، اي ان (هـ) اداة تعريف تدخل على اللفظة التي طرأ عليها القلب فتكون (هـ-نجب) هي (الجنوب). التوراة جاءت من جزيرة العرب: 86. و: النبي ابراهيم والتاريخ المجهول: 74.

الوقت في مناطق الجنوب – الحجاز– بدليل تبديل اسم زوجته من (ساراي) الى (سارة) [1]، مما يشير الى انهم سكنوا بين اقوام لحنوا في اسمها، فتغير نطقه في لسانهم[2].

ويبدو من الحكاية التوراتية ان السيدة هاجر في رحلتها الثانية اتجهت برحلة تتابعية من محطاتها صحراء النقب ثم الى الجنوب حيث الحجاز، ولا مرجح لاختيارها ذلك الاتجاه الا لأنها كانت تراه يوصلها الى مكان لها به سكن ومعرفة من قبل، وفعلا نجحت بالوصول الى منطقة صحراء فاران– بحسب ما تحكيه التوراة– حيث استقرت مع ابنها اسماعيل بعد ان ظفرت ببئر ماء هناك[3]، ويكون من المعقول المقبول ان يذهب ابراهيم بزيارة لتفقد ابنه المهاجر صغيرا، وهذا ما غفلته النصوص التوراتية وذكره القران الكريم: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) [إبراهيم: 37] أي ان ابراهيم كان على علم بمستقر ولده اسماعيل، بل انه هو الذي رافقهم حتى اوصلهم الى هناك بقرينة قوله(اسكنتُ).

ويثبت النص القرآني ان ابراهيم وصل الى مكة وقام برفع قواعد الكعبة، وان له مقاما هناك على المسلمين ان يتخذوا منه مصلى: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) سورة البقرة: الايتان [125–126]

وبذلك من الممكن سد الفجوات الموجودة في الحكاية التوراتية بما جاء في القران، فجبال فاران المذكورة في حكاية التوراة تستلزم بجنبها وجود واد، وهو ما ذكره ابراهيم بقوله (بواد غير ذي زرع). وورد في معاجم البلدان ان فاران – التي قصدتها هاجر واستقرت بها مع ابنها اسماعيل– هي كلمة عبرانية معربة وتعني مكة، وجبال فاران هي جبال الحجاز[4]. فيكون حضور ابراهيم عند اسماعيل في واد غير ذي زرع هو حضور في مكة. وبذلك نستكشف المسكوت عنه في القصة التوراتية، اذ هناك ما يساعد على ذلك في النص التوراتي مع سد بعض الثغرات بنصوص إسلامية موازية.

1 النص التوراتي في ذلك هو: (اما ساراي امرأتك فلا تسمها ساراي، بل سارة). سفر التكوين: 17: 15.

2 النبي ابراهيم والتاريخ المجهول: 79.

3 سفر التكوين: (21: 8–21).

4 الحموي، ياقوت، ١٩٩٥م، معجم البلدان، ط٢، بيروت– ، دار صادر: 301/3. و: الحميري، ابن عبد المنعم، ١٩٨٠، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، بيروت– ، مؤسسة ناصر للثقافة: 433/1. و أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، ١٩٥٧م، تاريخ الأدب الجغرافي الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية: 1: 335.

وقد علل بعض الدارسين عدم وضوح التوراة في الاشارة الى رحلة ابراهيم الى الحجاز – مكة تحديدا – بأنه محاولة لسحب البساط من النسل الاسماعيلي؛ لكونه ليس خالص العبرية وشابت دمه المصرية[1].

وعلى الرغم من ان النص التوراتي اقدم النصوص التي تُحكى فيها قصة ابراهيم وخارطة رحلاته، الا ان هذه النصوص كتبت في مراحل متأخرة عن تلك الاحداث، وهذا ما يفسح المجال لدخول البعد القومي والايديولوجي الذي يفرض سلطته على النص تغييراً وتأويلاً بما ينسجم مع التوجهات المتعاقبة.

2- السكوت عن واسطة السفر التي رحلت عليها السيدة هاجر: لم تذكر القصة التوراتية المطية التي ركبتها هاجر في رحلتها الطويلة، في حين نجد النصوص الإسلامية تذكر ان واسطة النقل هي (البراق) الذي احضره جبرائيل من السماء، وفي ذلك تكريم لهاجر وابنها الذي حاول القص التوراتي الانتقاص منهما بطريقة او بأخرى .

3- موقف السيدة هاجر من إبراهيم بعد ابعادها عن سارة واخراجها من بيته: لم تذكر لنا القصة التوراتية موقفا حواريا بين هاجر وإبراهيم بعد ان اخرجها من بيته، بينما بينت النصوص الإسلامية كلامها مع إبراهيم الذي يدل على عمق ايمانها وتوكلها على الله سبحانه: فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما قامت إليه هاجر وتعلقت بثيابه، وقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا هاهنا وليس معنا ما يكفينا؟ فلم يجبها فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال نعم. قالت فإذا لا يضيعنا![2].

فهذا الحدث الحواري يكشف عن ثقتها الكبيرة بربها ويقينها المطلق بأنه لا يضيعها على الرغم من انها بحسب الأجواء المحيطة بها كانت في مكان غير آمن وغير اليف، ولكنها الفته بعد ان علمت ان إرادة الله وراء مجيئها الى هذا المكان.

الخاتمة:

تناول البحث قصة سيدة جليلة القدر, وهي (ام العرب)، كانت لها مكانتها عند أبي الانبياء نبي الله ابراهيم (ع)، من يقرأ قصتها في بعض المصادر يجد أن تلك النصوص تحتاج إلى التمحيص والتدقيق وإعادة النظر؛ لذلك تتبع البحث مسارات السرد في كتاب يعد من اقدم المصادر الدينية المكتوبة مرورا بالمصادر الإسلامية، للوقوف على التداخل الثقافي، والعوامل الفاعلة في متغيرات البناء السردي، وقد تم من خلال المقارنة والتحليل الكشف عن التغيرات والتحولات التي طالت القصة،

1 القمني، سيد محمود، مدبولي الصغير: 79.

2 ابن كثير، مصدر سابق: 184.

بفعل عوامل عدة من أيديولوجية وقومية، وكثير من القصص التي لها وجود في كتب ديانات أخرى تحتاج إلى بحث واستقصاء للوقوف على الثابت والمتغير والمؤثرات في إعادة التشكيل السردي.

نتائج البحث:

يمكن إيجاز أهم النتائج التي توصل إليها البحث بما يأتي:

1. سلط البحث الضوء على موضوع جدير بالدراسة، هو متغيرات السرد الديني بين الديانات، مع امتداد الخط الزمني.
2. حاول البحث إن يكشف العوامل الفاعلة في التأثير على مضمون السرد وبنياته العميقة.
3. تبين من خلال البحث أن السرد التوراتي تهيمن عليه النزعة التطرفية والهيمنة الايديولوجية في التعامل مع شخصية السيدة هاجر، لأنها (ام العرب).
4. إن الخطاب الإسلامي حاول أن يعيد إنتاج القصة بما ينسجم مع منطلقات الاسلام الجوهرية، في عدم الانتقاص من نساء الانبياء المؤمنات.
5. بعض النصوص الإسلامية كانت متأثرة إلى حد كبير بالمرويات الإسرائيلية.

من التوصيات التي يود البحث إظهارها أمام أنظار الباحثين والقراء الكرام:

1. عند دراسة السرد الديني ينبغي تتبع الخيط السردي في مسار الخط الزمني؛ للوقوف على الثابت والمتغير منه، وما يطرأ من نمو يؤطر القصة، أو حذف، أو تلاعب قد يسيء إلى بعض شخصياتها.
2. من الجدير بالباحثين اتباع منهج علمي يميل إلى الوصف والتعمق و التحليل والمقارنة أو الموازنة، لتكون النتائج على قدر كبير من القبول العلمي، ولا سيما فيما يخص القضايا المرتبطة بالدين؛ حتى لا يتهم بعدم الموضوعية أو التحيز.
3. ينطوي هذا البحث على أمل في أن تكتب العقول النبرة والاقلام البارعة حول أثر الأيديولوجيا والتعصب في التكوين السردي، وما يترتب على ذلك من نتائج قد تنعكس على واقع الأجيال المتلاحقة.

قائمة المصادر والمراجع:

- القران الكريم.
- الكتاب المقدس: العهد القديم والعهد الجديد.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ١٩٨٨م، قصص الانبياء، ط، مكة المكرمة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٤١٤هج، لسان العرب، ط٣، بيروت، دار صادر.
- أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، ١٩٥٧م، تاريخ الأدب الجغرافي، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.
- بياوي، وليد وهبة، واخرون، (د.ت) دائرة المعارف الكتابية، القاهرة، دار الثقافة .
- الجزائري، نعمة الله، ٢٠٠٢م، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات .
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، ١٩٨٧م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤، بيروت ، دار العلم للملايين.
- الحسيني، خالد موسى، وخلف، زيدان، ٢٠١٢م، السيدة هاجر زوجة النبي إبراهيم عند اليهود والنصارى والمسلمين، مجلة لارك،السنة الرابعة، مج/، ع9.
- الحموي، ياقوت، ١٩٩٥م، معجم البلدان، ط٢، بيروت– ، دار صادر.
- الحميري، ابن عبد المنعم، ١٩٨٠، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، ~~بيروت~~ مؤسسة ناصر للثقافة.
- زوارة، غلام رضا، ٢٠٠٤م، هاجر أسوة الاستقامة، ط١، ترجمة: زهراء الموسوي، كربلاء ، مكتبة الرضا.
- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، ١٤٢٢هج، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- عثمان، عبد الفتاح، ١٩٨٧م، بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية)، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الشباب.

- فواز، زينب، ١٣١٢هج، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية بولاق.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (المتوفى: 671هـ)، القاهرة، دار للنشر والتوزيع.
- القمني، سيد محمود، ١٩٩٦، القاهرة، مدبولي الصغير.
- نخبة من الأساتذة اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس – متاح على شبكة المعلومات العالمية.نسخة الكترونية.
- هربرت لوكير، كل نساء الكتاب المقدس، القاهرة، دار الثقافة.
- المصادر الأجنبية:

- Douglas, J. D. (editor). Zondervan illustrated Bible dictionary ([Rev. ed.] ed.). Grand Rapids, Mich.: Zondervan